جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
عمادة شئون الطلاب
النادي الأدبي

الحكاية المستحيلة

(السيف أو الأدب)

مسرحية من ثلاثة فصول

كتبها
الدكتور جابر قميحة
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية والعربية
والمشرف على النادي الأدبي

[الفكرة الأساسية في المسرحية مقتبسة من الأدب الشعبي الهندي]

الفصل الأول

غـــــرام السلطـــــان

المنظر : قاعة العرش الكبرى بقصر السلطان بهمان : سلطـــان دولـة « زعفارستـــــان .
السلطـــان جالس على عرشه ، وعلى وجهه أمارات السعادة والسرور . وبجانبـه
على كرســي أخفض مستوى : وزيـــره (شرهـــان) .

السلطان : ياسلام يا وزيري شرهان ، لقد قضينا ساعات ممتعة حقا ، ساعات رائعة جميلة مع هؤلاء القصاصين ، الذين شفوا أسماعنا بكل ما لذ وطاب من القصص والحكايات .

الوزيـــر : يامولاي ، إنه ذوق عظمتكم .. الذوق الرفيع الذي يتمتع به سلطاننا العظيم بهمان . إن كل الناس يامولاي يتحدثون عن تقديركم للفن القصصي الرفيع ، وليس أروع منه إلا ذوقكم الذي لولاه ما كان لهذا الفن طعم ولا شهرة ، ولا كان لأصحابه من القصاصين مكان ولا قيمة .

السلطـــان : لا تظلم هؤلاء القصاصين يا وزيري شرهان ، فأدبهم رفيع في ذاته ، بصرف النظر عن تقديري لهم .

الوزيـــر : ولكن يا مولاي ...

السلطان (مقاطعا) : .. وذلك بدليل تقدير الناس لهم ، والتفافهم حولهم في الشوارع والمنتديات ، والإنصات لهم كأن على رؤوسهم الطير وهم يقصون عليهم حكاياتهم المشوقة ، فلا عجب أن يُفرغ الناس عليهم كل ما في جيوبهم .

الوزيـــر : .. ولكن ـ يامولاي السلطان ـ هناك حقيقة لا تنكر ، وهي أن عطاءاتكم الهائلة لهم هي التي بلغت بهم هذا الثراء ، وجعلت لهم هذه المنزلة العاليـة

بين الناس . لقد أصبح هؤلاء القصاصون يملكون من دنانير الذهب ألوف الألوف ، وأفخم القصور ، وأخصب الضياع . كل ذلك - يامولاي - من القصص التي يقصونها على عظمتكم ، وعلى الناس .

السلطــان : (في شيء من الضيق) : أوه .. يا وزيري شرهان ، إنهم يستحقون ذلك وأكثر ، فالقص فن رفيع لا يقدر عليه إلا نوابغ الأدباء . ولا تنس أنه أمتع من الشعر ، وأمتع من الخطب ، وأمتع من قضاياالمنطق ومقولات الفلسفة .

الوزيــــر : هذه حقيقة لا أستطيع إنكارها يا مولاي السلطان بهمان ، ... ولكن ..

السلطــان : ولكن ماذا يا وزيري شرهان ؟ ! .. هيه .. أنا أعرف ما تريد أن تقول ، أنت تستكثر على هؤلاء القصاصين ما أمنحهم من مال ، أنت تشفق عليّ ، وعلى الخزانة من كثرة ما أعطيهم .

الوزيــــر : دمت مثالا للكرم والسماحة يامولاي ، فمثلك لا يستكثر منه هذا ، ولكن هؤلاء القصاصين تضخمت ثرواتهم إلى درجة أن ...

السلطــان : لاتظلمهم ياشرهان ، ولا تنس أن هناك فضيلة تسجل لهم ، وهي أنهم لا يقصون عليّ ، ولا على الناس إلا ماكان واقعا ، بعيدا عن الكذب والخيال الشارد من قصص التاريخ والحكمة ، وما فيه الكثير من العبر والدروس .

الوزيــــر : ولكنهم - يا مولاي - يقصون أحيانا قصصا فكهه هازلة ، بعيدة كل البعد عن صرامة الجد ..

السلطــان : هذا صحيح ، ولكن ما العيب في هذا ؟ هل تخلو الحياة من الفكاهة والهزل - ياشرهان ؟ وأعتقد أنه لا ضير في ذلك إذا جاء بقدر ، بعيدا عن الحرام ، وبعيدا عن الإخلال بالوقار والاتزان .

الوزيــــر : ولكن ثرواتهم .. يامولاي ..

السلطــان (ضاحكا) : ها .. ها .. ها .. عجبا يا وزيري شرهان !! عدت إلى الحديث عن ثرواتهم مرةأخرى . فليكونوا أغنى الناس ، ولكن لاتنس - ياوزيري العزيز-

أنك أغنى من هؤلاء جميعا .... نعم أنت تفوقهم أجمعين : مالاً ، وقصورا ، وضياعا ، وعبيدا ، فلا تغبطهم على ما هم فيه .

الوزيــــر : (في لهجة هادئة ضارعة) : ولكن ثروتي الحقيقة هي رضاؤكم عن خادمكم المخلص شرهان .

السلطــان : هيه .. حقا كانت ليلة ممتعة ....أكثر من خمس ساعات قضيناها مع ثلاثة من القصاصين في ثلاث من القصص الجميلة الرائعة .

(يدخل الحاجب ويحيي بإحناء رأسه إلى الأمام)

ـ مولاي ، مازال هناك قصاص بالخارج ، هل يدخل ، أم تأمرون بصرفه ؟

560

السلطــان (بلهفة) : .. لا بل أدخله .. أدخله .. لقد نسيناه ..

(يدخل القصاص ، ويؤدي التحية للسلطان والوزير بإحناء رأسه ، ورفع يديه إلى جانبي رأسه عدة مرات)

التحية والسلام على عظمة السلطان بهمان ، ووزيرنا الهمام شرهان ، من العبد المخلص القصاص سلمان .

السلطــان : وعليكم السلام ... هيـه .... ماذا عندك ؟

سلمــــان : عندي يا مولاي من القصص أشكال وأنواع وألوان ، وكل قصة يسعدها أن تُحكى في حضرة السلطان بهمان ، ووزيرنا شرهان .

السلطــان : اسمع ياسلمان .. أريد هذه المرة قصة من طرائف التاريخ .. نختم بها ليلتنا .

سلمــــان : سمعا وطاعة يامولاي .. إنها قصة واقعية بطل أحداثها الشاعر أبو دلامه ، الذي عرف بظرفه وخفة ظله ، وقد عاش طيلة حياته يكره إراقة الدم ورفع السلاح ، ويقال إنه أكره على الخروج في جيش المنصور الذي أرسله بقيادة رجل يسمى (روح) لقتال « الخوارج الشراة » . فلما وقف الجيشان كل منهما في مواجهة الآخر بدأت مرحلة المبارزةالفردية ، فخرج بطل من أبطال الشّراة يطلب المبارزة ، فما كان من أبي دلامة إلا أن قال لقائده « روح » :

ـ ياسيدي القائد العظيم : أرى أن تتقدم إليه وتبارزه ، فهو ـ على مايبدو ـ جبان ، ضعيف الهمة ، يستطيع أي فارس أن يقصمه بضربة واحدة .

فأجابه قائده روح : إذا كان الأمر كذلك ، فأنت أولى بمبارزته ، ولك عشرة آلاف دينار إذا صرعته .

فأسقط في يد أبي دلامة ـ وهو الذي لا يحسن من فنون المبارزة والقتال شيئا ، ومشى إلى فارس الشراة ، ووقف أمامه يقول له بصوت خفيض ضارع :

اسمع مقالة من أتاك ولم يكن ... فيما يقول مخادعا محتالا
واعلم بأني لا أخاف منيتي ... جبنا ، ولا أتهيب الأبطالا
لكن أرى سفك الدماء محرما ... وأعيذ رأيك أن تراه حلالا
أمن المروءة أن نريق دماءنا ... سفها لمطمع طامع وضلالا ؟
هل كنت من قبل اللقاء رأيتني ... يوما وهل مني لقيت نكالا ؟
أم هل طرقت خيام قومك جانيا ... أم هل سرقت بحيهم أموالا ؟

السلطان : ذكي ألمعي والله يا أبا دلامة ! ! هيه ... ترى ماذا فعل الفارس الكميّ بعد سماعه هذه المقالة ؟

سلمان : فرأى الكمي مقالة متعاليا ... حقا ، وكل حقيقة تتعالى
فعنا ، وأذعن للحقيقة مغمدا ... سيفا أجادته القيون صقالا

الوزير : وبذلك نجا أبو دلامة من موت محقق . لكن ماذاقال أبو دلامة لقائده «روح»؟

سلمان : عاد أبو دلامة إلى قائده يخبره أنه كفاه قرنه البطل الرئبال ، وأنه قتله بالقول السديد لا بالسيف المهند ، وختم كلامه بقوله :

وأخذت في الهيجا عليه مواثقا　　　ألا يعـود ينازل الأبطـالا

السلطـان (ضاحكا) :ها .. ها .. ها .. ها .. ماشاء الله .. ماشاء الله .. قصة رائعة .. رائعة حقا ... ياحاجب اعطه خمسين ألف دينار .. نعم خمسين ألف دينار .

الوزيـــر(في اضطراب) : مو ... مو ... مولا لا لاي .... خـ .. خـ .. خمسين .. خـ .. خـ .. خمسين ماذا ؟

السلطـان (دون أن يلتفت للوزير) : خمسين ألف دينار ياحاجب ...

(يدخل الحاجب ويسلم سلمان صرة كبيرة)

سلمـــان : (وهو منصرف بظهره) : أبقاك الله يا مولاي السلطان بهمان ، نصيرا للقصاصين ، وذخرا للمحتاجين ، وبلسما للفقراء والمساكين .

[ستـار]

الفصل الثاني

الخـــزينـــة الخاويـــة

المنظر : قاعة العرش الكبرى التي ظهرت في الفصل الأول ، والسلطان بهمان جالس على عرشه ، وعلى وجهه أمارات الأسى والحـزن والتفكير العميق الطويل ، وعلى يمينه وزيره « شرهان » ترتسم على وجهه نفس المشاعر، يقدم إليه الوزير صرة ثقيلة ، ينتفض السلطان واقفا فيقف الوزير وهو يحمل الصرة بين يديه .

السلطـان : معقول ... معقول ياوزيري شرهان ؟ معقول هذا ؟ لم يبق في خزينة الدولة إلا هذا المبلغ ؟ مائةألف دينار فقط بعد آلاف الآلاف .. معقول هذا ؟ إنه المستحيل .. المستحيل بعينه .

الوزيــر : يامولاي السلطان بهمان ... وما الغرابة في ذلك ، وعظمتكم يعلم أن عدونا السلطان « أكلان » قد قطع علينا طرق تجارتنا ، واستولى على سفن أساطيلنا ، وحرق محاصيلنا ، و ... و ....

(يجلس السلطان على كرسي العرش ، ويعود الوزير إلى مقعده على يمينه)

السلطـان : و ... و ... و ... وماذا أيها الوزير شرهان ؟ ! !

الوزيــر : و ... و ... لا شيء ... لاشيء ... يا مولاي .

السلطـان : لا ... لا ... قل .. قل ياشرهان . لقد عودتني على الصراحة ، قل بصراحة ... وماذا ؟ لا تخف فأنت في أمان .

الوزيــر : و ... و ... غرام عظمتكم بالقصص والقصاصين يامولاي ، وما تمنحهم كل ليلة من آلاف .. بل مئـات الآلاف من الدينارات الذهبيـة ... حتى أصبح

الواحد منهم ـ كما قلت لعظمتكم ـ يمتلك عشرات القصور ، ومئات الضياع والبساتين غير الجواري والعبيد . وأنت ـ يامولاي ، أطال الله عمرك صاحب الفضل الأول في كل ذلك .

السلطـان : .. دعنا من هذا الآن . فأنا ـ كما ترى ـ أصبحت زاهدا في القصص والقصاصين ، وحط علينا من المصائب والمشكلات ما نكاد ننوء به .

(ينهـض واقفـا ، وكذلك الوزيـر . وتعلـو نبـرة السلطـان)

فلنكن أبناء اليوم ... نعم فلنواجه مشكلات اليوم بعقلية اليوم .. إننا في حاجة إلى خمسمائة ألف ألف دينار من الذهب لكي ندفع معاشات العمال والجنود وخدم القصر ، ومائتي ألف ألف لتصنيع السلاح ، وتجهيز تجريدة نضرب بها عدونا السلطان أكلان لنسترد أموالنا وسفن أسطولنا .

(يعاود الجلوس على عرشه ، ويوجه نظره إلى الوزير الذي عاد إلى مقعده .. ويسأله في نبرة هادئة حزينة :

ـ هيه ... قل يا وزيري شرهان ... ماذا أفعل ... ماذا .. أفعل ؟ إنها مشكلة ... مشكلة ... بل إنها كارثة لا يستهان بها .

(الوزير يطرق إلى الأرض برهة ، ثم ينهض واقفا وهو يصيح ، وقد بدا البشر على وجهه :

ـ آه ... خلاص ... خلاص ... يامولاي ... وجدتها يامولاي وجدتها ... وجدت الحل الناجع الذي لا كارثة بعده ولا مشكلة ... نعم وجدتها ... وجدتها يامولاي ...

السلطـان : لا .. اسمع .. إياك أن تشير عليّ ... كما كنت تشير كل مرة بضريبة جديدة تفرض على الناس ... لا .. لا .. فعيوني من رجالي قد نقلوا إلى أن البؤس والفقر يأخذان بخناق الناس ... ولم يعد في الناس غني واحد ... ماعدا ....

الوزيـر (بلهجة مندفعة) : القصاصين ... نعم يامولاي ..... القصاصين .....

السلطــان : القصاصين .. نعم ... قلة قليلة لا يتجاوز عددها أصابع اليدين هم أصحاب الثراء الفادح .

الوزيــر : وما منحه عظمتكم لهم هو سرّ هذا الثراء ... فالحل إذن عندهم ... نعم حل الأزمة المالية في يدهم ...

السلطــان : (غاضبا) : لا أيها الوزير شرهان ... أتريد أن أسترد منهم مامنحته لهم بإرادتي ورضاي مقابل ما أسعدوني به من قصص ؟ لا ... لا ... ماذا يقول الناس عني ؟ ... لاشك سيقولون سلطان بخيل ... يمنح العطايا ثم يستردها ... لا ... لا

الوزيــر : لا يا أعظم سلاطين الأرض .... وزيركم ليس بهذه السذاجة ولكن ذكاء عظمتكم سيوقعهم في الفخ ، ونسترد المال بطريقة مشروعة ... نعم مشروعة ... لن يشك في مشروعيتها اثنان ...

السلطــان : مشروعة .... مشروعة !! ... كيف ؟

الوزيــر : أه ... قلت لي يا أعظم السلاطين . الخطة تتلخص ـ والأمر لكم ـ أن نبعث المنادين في كل مكان .. من سلطنتنا الحبيبة « زعفارستان » ، يعلنون عن مكافأة كبرى قدرها مائة ألف دينار ...

السلطــان (غاضبا) : أي كل ما خزانتنا ... ماشاء الله !!! وتصبح الخزانة لا درهم فيها ولا دينار !!!

الوزيــر : صبرا يا مولاي ...صبرا .. إن ذلك مجرد طُعْم ... نعم مجرد طُعْم ... يأتي بعده الصيد السمين ... أطمع في كرم عظمتكم أن أشرح خطتي للنهاية ...

السلطــان : ... قل ... أكمل ... يا ...شرهان ...

الوزيــر : نعلن عن هذه المكافأة ... للقصاص الذي يحضر إلى مجلس عظمتكم ، ويحكي حكاية طويلة ليس فيها حقيقة واحدة ... أي تكون كلها خيالا في

خيال ، وأكاذيب في أكاذيب . ولو دخل هذه القصةالطويلة ـ التي سيحكيها هنا أمامنا ـ حقيقة جزئية واحدة يضرب عنقه ، وتصادر أمواله .

السلطان (وهو يهم بالجلوس) : هائل ... هائل ... جميل جدا ياشرهان ، وطبعا ... لا يمكن أن تخلو أية حكاية من حقيقة ، ولو كانت ضئيلة ...

الوزير (وهو يهم بالجلوس ، وقد ظهرت على وجهه أمارات الزهو والثقة) :
طبعا ... طبعا يامولاي . فالإنسان مهما شرد به الخيال لا يستطيع أن يبني خياله إلا على عناصر من الواقع ، وسيعجز القصاصون عن الإتيان بحكايات كلها خيال مائة في المائة ، وخصوصا أنهم لم يعودوا أنفسهم إلا على القصص الواقعية التي تكاد تخلو من عناصر الخيال . فالتاريخ هو مصدرهم الرئيسي ، وإن اختاروا منه أطرف الوقائع والأحداث .

السلطان : إذن ستضرب أعناقهم لا محالة ؟ ؟

الوزير : وبذلك نحقق يامولاي غرضين : الأول تخليص الدولة منهم لأنهم يستنزفون أموال الناس ، وأموال الخزانة السلطانية . والغرض الثاني مصادرة أموالهم ، وهي ثروة طائلة تكفي لحل مشكلات السلطنة وتسديد ديونها ، وتجهيز جيوشها ، ودفع مرتبات الموظفين والجنود والعمال .

السلطان (هاتفا في فرح) : رائع ... رائع ... رائع .. ياشرهان .
(فجأة يأخذه الصمت ، ويعلو وجهه الكآبة) ويقول بصوت هادىء متهدج :
لكن ... قل لي افرض .. افرض أن واحدا من هؤلاء القصاصين حكى قصة كلها خيال وأكاذيب ... من أولها إلى آخرها ...من أول خيط إلى آخر خيط فيها ، واستحق مائة الألف التي معنا ، هـه ... ماذا نفعل في هذه الحال ؟

الوزير : يامولاي هذا مستحيل ... نعم مستحيل ، ولو حدث ذلك فاضرب عنقي ، وصادر أموالي (ضاحكا) : نعم ... يامولاي اضرب عنقي ، وصادر أموالي

.. (ثم بزهو وانتفاخ) :

يامولاي ... أنا وزيرك شرهان ... رجل التخطيط الدقيق ، والتدبير العميق .

السلطـان : لكن افرض أن واحدا من القصاصين لم يتقدم لهذه المباراة ؟ فانت تعلم أن مائة ألف دينار لا تعد شيئا بجانب المخاطرة بالنفس ، والمخاطرة بالأملاك .

الوزيــر (وقد قفز الهمّ على وجهه) : أه .. هذه فاتتني .. حقا فاتتني

(يطرق برأسه إلى الأرض ، ولكنه يرفع رأسه فجأة ، وقد علته أمارات الفرح) :

ها ... وجدتها يامولاي : حتى نضمن حضور القصاصين نجعل المكافأة مزدوجة : مائة ألف دينار + ثروة من ضرب رأسه من القصاصين .

السلطـان : أه ... هذه لم أفهمها ...

الوزيــر : مثلا : لو جاءنا القصاص الأول وحكى حكايته وخسر المباراة تضرب عنقه ، وتصادر أمواله ، وتكون جائزة القصاص الثاني مائة الألف دينار + ثروة القصاص الأول ، فإذا ضربت عنق القصاص الثاني تكون للثالث جائزتنا + أموال القصاصيْن الأول والثاني .... وهكذا ....

السلطـان (صائحا) : فماذا نكسب إذن ؟

الوزيــر : يا مولاي ... هذا مجرد إعلان ... مجرد إعلان لإغراء أكبر عدد من القصاصين للاشتراك في هذه المباراة التي سيخسرونها جميعا دون شك ... يا مولاي قلت لعظمتكم لو حدث غير ذلك فأضرب عنقي ... وصادر أموالي ... (وبشيء من الزهو) : يامولاي .. أنا وزيرك شرهان ... تلميذكم الأمين يا مولاي .

السلطـان (وهو يهم بالنهوض) : رائع ياشرهان ... رائع ... إذن ابعث المنادين في كل مكان .. بسلطنتنا زعفارستان ينشرون الإعلان على رؤوس الأشهاد ... (وبعد لحظة من الصمت يتطلع بنظره إلى الأمام) .. ففي مساء

الغد يكون لقاؤنا بالقصاصين ...

الوزيـــر (ضاحكا بعد أن نهض من مقعده) : والأموال الهائلة ، والأملاك الواسعة والثروات الطائلة .. يامولاي ....

(ستـــار)

الفصل الثالث

الجائـــــزة القاتلـــــــة

(يسمع خلف الستار نداء المنادي في شوارع السلطنة :

ـ يأيها السكان ، في كان مكان ، بسلطنة زعفارستان ...

اسمعوا ... وعوا ...

اسمعوا ... وعوا ...

إليكم جائزة مولانا السلطان بهمان

وليبلغ الحاضر منكم الغائب

(تكرر العبارات السابقة ويسمع لغط جماهير تجمعت حوله)

غداً بعد الغروب

في قاعة العرش الكبرى

يقدم عظمة السلطان

مكافأة من مائة ألف دينار

من خالص النضار

لمن يقص قصة طويلة

كلها خيال في خيال

وأكاذيب .. في أكاذيب

ولا يكون فيها كلمة واحدة يصدقها العقلاء

ومن يفشل في ذلك تضرب عنقه

وتضم أمواله لمن يكسب المباراة

وإلا فلخزينة سلطنة زعفارستان

(يخفت الصوت رويدا .. رويدا ، وتتداخل أصوات المنادين .. وهم يكررون النداء ...) :

يا أيها السكان ... في كل مكان

بسلطنة زعفارستان

اسمعوا وعوا ... اسمعوا وعوا ...

(يخفت الصوت إلى أن ينتهي تماما)

ويفتح الستار على قاعة العرش ، والسلطان على كرسي العرش ، والوزير على مقعده ، وقد ظهر على وجهيهما البشر والسرور) .

السلطـان : الليلة ليلة المباراة الكبرى ... يا وزيري شرهان

الوزيـر : بل قل - يامولاي - إنها ليلة الفرج الأكبر .. ليلة لقائنا مع أموال القصاصين وثرواتهم .

السلطـان : أيها الحاجب ... كم من القصاصين في قاعة الانتظار ؟

الحاجـب (وهو يتقدم في شبه انحناء) : ثلاثة - يامولاي - ثلاثة ....

السلطـان : ثلاثة فقط ؟ (ناظرا إلى الوزير) :

ثلاثة فقط ... ياشرهان ؟ !!

الوزيـر : ليكن ... يا مولاي السلطان ... فثلاثة من القصاصين تكفي ثرواتهم نفقات السلطنة عشر سنين على الأقل .

السلطـان : (للحاجب) : أدخلهم ... أدخلهم أيها الحاجب ...

(يدخل الثلاثة)

الأول : التحية والسلام على عظمة السلطان ، من عبده القصاص « فشران » .

الثاني : التحيةوالسلام ، على عظمةالسلطان ، من عبده المخلص القصاص «نعمان » .

الثالث : التحية والسلام ، على عظمة السلطان ، من عبده القصاص ..« كسبان » .

السلطـان : نعم ... أنا أعرفكم .. فقد جئتم هنا عشرات المرات ، وتمتعت بقصصكم الرائعة ....

الأول : وأفضتم علينا ـ يا مولاي ـ من كرمكم الكثير ... والكثير ...

الثاني : فنحن عبيد إحساناتكم يا مولاي ...

الثالث : نعم ... عبيد إحساناتكم يا مولاي ...

السلطان : آه ... كفى هذا الإطراء . فشران ، ونعمان ، وكسبان . هيه .. هل عرفتم شروط المسابقة ؟

كلهم (في نفس واحد) : نعم يا مولاي ... ولكن ..

السلطان : نعم أعرف وجه الاعتراض ...فالعدل أن نجري قرعة لترتيبكم ...

ياحاجب هات ثلاثة أسهم وسلمها للوزير شرهان .

(يدخل الحاجب بثلاثة أسهم ويسلمها للوزير)

الوزير : فليأخذ كل منكم سهما .. فلتبدأ يافشران

فشران (ياخذ سهما وينظر فيه) رقم ثلاثة .

الوزير : وأنت يا نعمان .

نعمان (ياخذ سهما وينظر فيه) وأنا رقم اثنين .

الوزير (موجها حديثه إلى كسبان) : إذن فأنت رقم واحد يا كسبان ...

السلطان : إذن سيبدأ كسبان . وبعده نعمان ، والثالث فشران . والآن ينتظر نعمان وفشران في قاعة الانتظار إلى أن يأتي دور كل منهما .. (ينسحبان من قاعة العرش) والآن لتبدأ يا كسبان ....

كسبان : إنها حكايتي يامولاي ، وخلاصتهاأنني كنت أمتلك قطيعا من الأغنام الأبقار ، الوجوه وجوه كباش والأجسام أجسام بقر ، وبطونها يكسوها الصوف ، وظهورها يكسوها الشعر . وكنت أطعمها السكر ونحلب لبنها حلو المذاق . وذات يوم ذهبت أرعى بها في مرعى بعيد ، فتهت بها في صحراء قاحلة إلى أن بلغ العطش بالقطيع أقصى مداه ، فلم يجد القطيع إلا ماء البحر المالح فشرب منه ، فلما حلب ابني بعض هذه الأبقار الخراف ، نزل لبنها مالح

الطعم ، ومع كل حلبة صغار من السمك ، فلما شرب ابني « سندان » من لبنها أصابه مغص شديد وتلبك بليد ...

السلطـان : تقول من شرب من لبنها أيها القصاص كسبان ؟

كسبـان : ابني سندان ... يا مولاي .

السلطـان (في هدوء) : لك ابن اسمه سندان ؟ .. ابن اسمه سندان ؟

كسبـان (في هدوء وابتسام) : نعم يا مولاي ، ابن عشر سنين .. ذكي جميل ، وهو ينتظرني بالخارج ... في قاعة الانتظار بقصركم العامر ، ليفرح معي بالجائزة .

السلطـان (مقهقها) : ها ... ها ... ها ... لقد خسرت ... سقطت يا كسبان ... أدخلت في القصة عنصرا حقيقيا صادقا وهو ابنكِ سندان (يظهر الفزع على وجه كسبان) .

يا سياف : اضرب عنقه فجر الغد .

يا حاجب : تصادر أموال القصاص كسبان .

(يدخل السياف وبعض الجنود والحاجب ويسحبون كسبان إلى الخارج ، وهو يصيح ..)

عفوا يا مولاي ... عفوا يا مولاي ... نسيت والله أعطني فرصة أخرى يا مولاي من أجل ولدي سندان .. عفوا يا مولاي .

السلطـان (وهو ينظر للوزير) عبقري يا وزيري شرهان .. عبقري حقا ، ها قد كسبنا الأول

الوزيـر (في زهو) : يا مولاي ... أنا وزيرك شرهان .. صنيعة يدى السلطان بهمان .

السلطـان : والآن جاء دورك يا نعمان . ياحاجب أدخل القصاص نعمان (يدخل نعمان ... محنيا رأسه بعض الشيء)

نعمـان : عبدك المطيع يا مولاي ..

السلطـان : تذكَّرْ أن لك كل ثروة القصاص كسبان ، زيادة على جائزتنا وقدرها ـ كما تعلم ـ مائة ألف دينار .. تذكر كذلك أن الشرط الأساسي ألا يكون في

قصتك لمحة من الصدق أو الواقع ... هيه هيا ... فلتبدأ ....

نعمـــان : حكايتي من عجب ـ يا مولاي ـ فقد ولدتني أمي بثلاث عيون وثلاث أرجل ، وبعد عشر سنين بلغ عمري سنتين ...

السلطان : نعم ؟ ؟ ... ماذا تقول ؟ بلغ عمري سنتين بعد مرور عشر سنين على ميلادك ؟

نعمـــان : نعم يا مولاي . ولما رأت أمي أنني بلغت سن الرشد في الثانية ، قالت لي : « يابني الزمن خوان ، والإنسان مع الزمان كفرسى رهان ، فادخر عينا ورجلا للمستقبل » . فخلعت العين الثالثة ، وخلعت الرجل الثالثة ، ووضعتهما في بطن سمكة ، كنانحتفظ بها في المنزل لخزن الأشياءالثمينة . ولكن العين كانت تحن لرفيقتها ، فتهرب من بطن السمكة وتلتصق بوجهي في المنام ، فكنت أستيقظ لأجد العين الثالثة به ، فأخلعها ، وأعيدها إلى بطن السمكة . وذات يوم قالت لي أمي ..

السلطان : أمك ؟ ومن أمك ؟

نعمـــان (مندفعا دون تروّ) : أمي .. أمي يا مولاي « سهيانة بنت الأقرع » .. طيبة القلب يامولاي ، وهي تتنظرني في قاعة الانتظار بقصركم العامر ، لتشاركني الفرحة بالجائزة بعد أن أنتهي من حكايتي .

(ينهض السلطان والوزير مهللين)

ها .. ها ... ها ... كسبنا ... كسبنا ... وضعت يا نعمان .

(يجلس السلطان ، وهو يتدفق فرحا)

السلطان : ها .. ها .. لقد تسربت جزئية من الحقيقة الصادقة لحكايتك .. أمك .. واسم أمك ... هذا حق وصدق وواقع .. أمك التي تنتظرك الآن في قاعة الانتظار بقصرنا العامر ...

يا سياف ... تضرب عنق القصاص نعمان ... فجر الغد .

يا حاجب ... تصادر أموال القصاص نعمان ، ولا يترك منها دينار واحـد

(يدخل السياف والحاجب وبعض الجنود ويسحبون نعمان وهو يصرخ ويصيح) ..

عفوا يا مولاي .. عفوا يا مولاي ... أنت الذي استدرجتني إلى الصدق ، أعطني فرصة حتى أكفر عن صدقي يامولاي .

السلطان (للوزير) هيه ... ثروتان ضخمتان حتى الآن ...

الوزير : نعم يا مولاي ... مئات ألوف الألوف .. عدا القصور والضياع والجواري والعبيد . (وبعد لحظات من الصمت يأخذه الزهو ، ويواصل الكلام)

أنا وزيرك يا مولاي ... أنا وزيرك يا مولاي ... تدبيري محكم لا مخرج منه .. لم يبق إلا القصاص فشران .... وهو مضمون مائة في المائة يا مولاي .

السلطان : ياحاجب فليدخل القصاص فشران

(يدخل فشران رافعا يديه محييا في شبه انحناء إلى الأمام ..)

فشران : السلام والتحية لمولانا العظيم السلطان ..

السلطان : هيه يا فشران : إما أن تنال ثروة سابقيك ومائة ألف دينار ، وإما أن تفقد ثروتك ورأسك ، أنت تعرف هذا طبعا ؟

فشران : أعرف يامولاي .

الوزير : هيا ... هيا .. ابدأ حكايتك .

فشران : خلاصة حكايتي أنني كنت الأخ الشقيق الأكبر لأبي ، فقد كان عمري ثمانية أعوام حينما ولد أبي . وجاءت جدتي وأمرتني أن أحمل أبي الرضيع ، وأداعبه ، حتى لا ينخرط في البكاء والصياح . ولكني لم أتمكن من إسكاته ، فظننت أن به جوعا ، ويريد أن يرضع لبنه ، ولكن أبي الرضيع بادرني قائلا : إن كنت تريدني أن أكف عن صراخي ، فخذني إلى السوق .

فحملته وذهبت به إلى السوق ، فوجد جماعة من العلماءوالأدباء والشعراء ، وقد تحلقوا في دائرة ، فأصر على أن يخوض معهم فيما يقولون وينشدون

حتى تفوق عليهم جميعا في الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ .

الوزيـــر (هامسا للسلطان) : جاء دورك يا مولاي .. جاء دورك للإيقاع به ، لاستدراجه إلى قطعة من الصدق .

السلطـان (موجها كلامه إلى فشران) : قلت من هذا الذي غلب ببلاغته العلماء والشعراء والفلاسفة ؟

فشـــران : أبي ... أبي الرضيع يا مولاي .

السلطـان : ماشاء الله !! ... أبوك الرضيع ؟

فشـــران : نعم يا مولاي .

السلطـان : ومن أبوك هذا ؟

فشـــران : أخي الأصغر الشقيق يا مولاي .

السلطـان : أبوك .. هو أخوك الشقيق ؟ وأنت ؟

فشـــران : كنت أكبر منه بثمانية أعوام يا مولاي

السلطـان : أكبر ممن ؟

فشـــران : من أبي الذي هو أخي يا مولاي ؟

السلطـان : آه ... جميل ... جميل ... وما اسم أبيك هذا ؟

فشـــران : هذا ما لا أعرفه حتى الآن يامولاي .

السلطـان : وهو ... أعني أباك ... ما اسمه الذي يعرفه لنفسه .

فشـــران : هو أيضا لا يعرف اسمه ... يا مولاي .

السلطـان : فإذا أرادت أمك أن تناديه .. فبأي الأسماء كانت تناديه ؟

فشـــران : إذا أرادته .. لم تكن تناديه يا مولاي .. بل إنها إذا أرادته كان هو الذي يناديها .

السلطـان : وتذهب هي إليه ؟

فشــــران : بل يذهب هو إليها . نعم يامولاي إذا شعر بأنها تريده لأمر من الأمور ناداها هو ، فأرد أنا عليه ، ويذهب هو إليها .

السلطان (في ضيق) : ماشاء الله ! ! .. أكمل حكايتك ... أكمل .

فشــــران : وبعد أن هزم أبي ـ الذي هو أخي ـ كل العلماء والشعراء والفلاسفة في السوق ، أردت أن أعود به إلى المنزل ولكنه رفض العودة إلا إذا اشتريت له بيضة طازجة لم يمر على وضعها أكثر من دقيقة .

فلما أمسك بها انفتحت قشرتها عن كتكوت ما إن رأى النور حتى أخذ ينمو .. وينمو إلى أن صار في حجم الدجاجة التي أخذت تنمو وتنمو إلى أن صارت الدجاجة في حجم الجحش ، فحمدناالله لأننا كنا مرهقين وركبنا الدجاجة ، وعدنا به إلى المنزل ، ولكننا بعد وصولنا إلى المنزل اكتشفنا أن الدجاجة صارت في حجم الجمل الكبير ....

وأنخنا الدجاجة ، وسلمت أبي ـ الذي هو أخي ـ سلمته لجدي ...

السلطان : هيه .. والدجاجة التي كانت في حجم الجمل ... ما أخبارها ؟

فشــــران : كانت شرهة منهومة يا مولاي ، أخذت تلتهم كل شيء . حتى نفد ما في بيتنا من قمح وأرز وشعير وخبز وأثاث ....

السلطان : ما شاء الله .. ماشاء الله !! دجاجة تأكل الأثاث .. من مقاعد وأسرّة ودواليب ؟

فشــــران : نعم يا مولاي ... هذا ماحدث دون كذب أومبالغة .. إنها دجاجة عجيبة يامولاي .

السلطان : هيه ما علينا ... أكمل ..

فشــــران : فتشاور أبي مع جدي وأمي في هذه النكبة الجديدة ، واتفقوا جميعا على تشغيل الدجاجة في حمل الأخشاب إلى بيتنا ....ورحبت الدجاجة بالعمل الجديد ، حتى أنها نقلت إلينا من الصحــــراء القاحلة غابــة ضخمة من مائة

ألف شجرة .. كي يبني بها أبي بيوتا له .. وبحمد الله ، كان الخشب كافيا لبناء هذه البيوت التي وضعها أبي في حجرته .

السلطان (صارخا وكفاه على رأسه) : رأسي يا عالم !! رأسي ياناس !! دماغي ياناس !! رأسي يكاد ينفجر يامجنون ... دجاجة تحمل على ظهرها غابة من مائة ألف شجرة ... ومن أين ؟ من صحراء قاحلة ؟ ولماذا ؟ ليبني أبوك بها بيوتا ... بيوتا مصنوعة من مائة ألف شجرة ... ثم يصنع أبوك كل هذه البيوت داخل حجرته !! قل يامجنون ... ماحجم هذه البيوت إذن ؟

فشــــران : حجمها ... حجمها ؟ يامولاي لم يكن لها حجم يامولاي .. نعم ماكان لها حجم ...

السلطان (صارخا) : يا ألطاف الله ... كيف لا يكون لهذه البيوت حجم وقد كونت من مائة ألف شجرة ؟ هـه ... أجب يا مجنون ؟ أي بيوت هي ؟

فشــــران : يامولاي على رسلك . لقد كانت بيوتا من الشعر .. نعم بيوتا من الشعر تكوّن قصيدة كاملة من نظم أبي . ألم أقل لعظمتكم أن أبي الذي هو أخي - تغلب من قبل في السوق - على كل العلماء والأدباء والشعــراء .... ؟ آه يامولاي لو سمعت هذه القصيدة .. إنها رائعة رائعة .. واسأل جدي يا مولاي ...

السلطان (ساخرا) : .. هه .. جدك ؟ .. وما علاقة جدك بها ؟ نعم ما علاقته بهذه القصيدة ؟

فشــــران : علاقتـه ؟ لقد ألقـى أبي هذه القصيدة في ختانه .. نعم بمناسبة ختان جدي ...

السلطان (ساخرا) : ختانه السعيد طبعا ..؟

فشــــران : نعم يا مولاي لقد كان يوما سعيدا ..

السلطان (بعد ان أطرق برهة .. ينطلق بصوت بطيء عميق)

لكن في هذا الجزء من حكايتك نقطة لم أفهمها .. ما علاقة الأشجار .. التي بلغت مائة ألف شجرة بنظم قصيدة من الشعر ؟ .. هـه أجب على الفور .

الوزيـــر (بصوت مرتفع مندفع) : نعم أجب على الفور . مائة ألف شجرة ما علاقتها بنظم قصيدة من الشعر ...

السلطان (بصوت مرتفع مندفع) : نعم أجب على الفور ....

فشــــران : سبحان الله يا مولاي !! سبحان الله يا مولاي !! العلاقة أوضح من أن أقف عندها ... فكتابة القصيدة احتاجت طبعا لأقلام ... وقد استهلك أبي كل هذه الأشجار في صناعة الأقلام التي كتب بها قصيدته .. . ونحمد الله ... لقد كفته مؤنة استعارة أقلام من جيرانه .

السلطان والوزير (في نفس واحد وقد وضع كل منهما كفيه على رأسه) : يا ألطاف الله !! أكمل ... أكمل يا مجنون .

فشــــران : نعود للدجاجة يامولاي ... لقد حدث لها ما أحزننا جميعاً ... إذ أصيبت بقرح في ظهرها ، سال منه دم وقيح من كثرة ما حملت من أشجار . فغطى جدي قرحها بقشرة ثمرة من ثمار (جوز الهند) . كان ذلك في المساء .. في ليلة من ليالي الحر الشديد ، فلما استيقظنا في الصباح وجدنا السماء غائمة . ولم يكن بالسماء سحابة واحدة ، ولكن الحقيقة أن قشرة جوز الهند التي وضعها جدي على قرح ظهر الدجاجة نبتت وصارت شجرة جوز هند ضخمة ، أخذت تعلو وتعلو ، إلى أن منعت عنا ضوء الشمس ، لأنها كانت تحمل مئات الألوف من ثمار جوز الهند .

واقتضانا ذلك أن نستأجر خمسمائة رجل للصعود إلى الشجرة لجمع ثمار جوزالهند .

وفجأة رأيت لصا يتسلل ليسرق ثمرة من هذه الثمار ، فلم أجد ما أضربه به إلا أن أتناول من الأرض حفنة من التراب رميته بها ، فتفاداها ، فانتشر التراب على أغصان الشجرة ، ولم يهبط على الأرض ... بل غطى الأغصان كلها وصنع التراب فوقها أربعين فدانا من الأرض الخصبة .

السلطان : ما شاء الله ! ! حفنة من التراب تستقر فوق الشجرة ، فتصنع تربة خصبة من أربعين فدانا .

فشران : هذا ما حدث يا مولاي ، كأنك كنت معنا يامولاي ، وصعّدنا إليها قطعاننا من الأبقار والأغنام لترعى مافيها من حشائش . ثم حرثناها ، وأردناأن نزرعها ، فأشار علينا أبي - وهو أخي الأصغر ، كما تعلم يا مولاي - أن نزرعها بالسمسم ، وبعد أن بذرنا فيها حب السمسم ، فاجأنا خبير في الزراعة ، برأيه فيما فعلنا ، وقال لنا أن هذه الأرض لحداثتها - لا تصلح لإنبات السمسم ، والأصح أن نزرعها بقطع من قرون الخراف .

(السلطان والوزير يقهقان في نفس واحد)

السلطان : ها .. ها .. ها .. تزرعون قرون خراف في أرض زراعية !! ماشاء الله .. حتى تنتج خرافا .. إه تنتج خرافا طبعا ؟ ؟ !

فشران : .. زادك الله علما - يامولاي - هذا صحيح .. ولكن كان أمامنا - قبل أن نغرس في الأرض قرون الخراف - مهمة صعبة ، وهي استعادة حبات السمسم التي بذرناها في الأربعين فدانا ، فصعدنا إلى الأرض أنا وأبي ، وأخذنا نلتقط حبات السمسم من الأرض حبة .. حبة ... إلى أن جمعناها كلها ، وعدنا إلى بيتنا . ولكن حدثت مفاجأة ... مأساة .

الوزير (هامسا للسلطان) يظهر أننا نستطيع أن نوقعه ونصطاده في هذه النقطة - ياموﻻي . (موجها كلامه لفشران) .

هيه ... قل لي يافشران ...ما المفاجأة ؟ .. ما المأساة ؟ ...قلها ، احكها

كما حدثت في الواقع هه ... كما حدثت في الواقع .

فشـــران : المأساة ياسيدي ـ كماحدثت ـ أننا ـ أناوأبي الذي هوشقيقي الأصغر ـ أخذنا نعد حبات السمسم التي نزعناها من الأرض ... فاكتشفنا أن هناك حبة ناقصة .. فأخذنا الفزع فصعدت بمفردي إلى الأرض مرة ثانية ، وأخذت أبحث عن هذه الحبة شهرا كاملا .. دون جدوى ، وبينما أنا أحاول الهبوط شاهدت نملة تمسك بالحبة ، وتسحبها إلى جحرها ، فأمسكت بطرف الحبة الآخر ، لأنتزعها من فم النملة ، ولكنها تشبثت بها ، وقاومتني في وقاحة واستماتة ، ودار بيننا صراع رهيب .

السلطان (ضاحكا) : بينك وبين النملة ؟

فشـــران : لمدة أسبوع كامل ...هي تشد الحبة من ناحية ، وأنا أشد بقوة من ناحية أخرى ، وأنفاسنا تتلاحق ، والعرق يتصبب مني ومنها حتى امتزج عرقانا وصارت الأرض زلقة ... هي تشد من ناحية ..

السلطان (ساخرا) : وأنت تشد من ناحية .. إلى أن انشطرت الحبة إلى نصفين ..هه .. إلى نصفين ...

فشـــران : سبحان الله ... هذا ما حدث يامولاي بالضبط .. كأنك كنت معنا ، تشاهد هذا الصراع يا مولاي . وبعد أن انشطرت حبة السمسم تدفق الزيت منها بغزارة ، واندفع الزيت من الأربعين فدانا المعلقة فوق الشجرة .. في سيل جارف إلى قريتنا ، وصنع نهرا عظيما ... نهراً من الزيت لم أشهد مثله في حياتي ....

الوزيـــر (ساخرا) : وطبعا أغرق نهر الزيت .. القرية بما فيها ، ومن فيها ...

فشـــران : لا ياسيدي .. عفوا .. لم يحدث هذا ، إذ أن نهر الزيت لم يزد عمقه على ثلاثة أمتار .

السلطان : ثلاثة أمتار .. ثلاثة أمتار ارتفاع نهر الزيت ؟ هذا يمكن أن يغرف القرية بسهولة ...

فشران : عفوا ...يا مولاي .. هذا يكون صحيحا لو لم يصنع نهر الزيت له مجرى .

الوزير : غير مجرى نهر الماء الذي تقع القرية على ضفتيه ؟

فشران : بل حل محل مجرى نهر الماء .

الوزير : وماء النهر أين ذهب ؟

فشران : شربته دجاجتنا ـ ياسيدي ـ دجاجتنا التي نبتت في ظهرها شجرتنا .. شجرة جوز الهند التي تكون فوقها أربعون فدانا ... الأرض التي بذرنا فيها السمسم ثم جمعنا الحبات من جديد .. إلا حبة واحدة تدفق منها نهر الزيت .

كل ذلك أجهد الدجاجة ، وكان العطش الشديد يشتد بها ، إلى أن شربت نهر الماء كله .....

السلطان : (ساخرا) فلما تدفق سيل الزيت وجد له مجرى جاهزا ... فاستقر فيه ... هه ؟ !!

فشران : ماشاء الله ... هذا ماحدث بالضبط يا مولاي كأنك كنت ....

السلطان : (يقف غاضبا) معنا ... معنا ... كأنك كنت معنا يامولاي .

(ويصمت برهة وهو يهم بالجلوس) قاتلك الله ...

الوزير (وعلى وجهه مسحة من البشر) : آه ... لكن قل لنا : الفلاحون ... ماذا فعلوا ؟ طبعا ماتت زراعاتهم من الأرز والذرة والقمح والشعير ... فحيث لا ماء .. لا نبات ولا إنبات .

فشران : بل بالعكس ـ ياسيدي ـ .. روى الفلاحون محاصيلهم بالزيت بدل الماء ، فارتفعت نسبة الدسم في هذه المحاصيل ، حتى أصبح الفلاح يبذر في حقله قمحا فينبت كعكا .

السلطان : والشعير ؟

فشـــران : ينبت شعرية .

الوزيـــر : والأرز ؟

فشـــران : ينبت لحما ياسيدي

إنها نعم يا مولاي ... لاتحصى ولا تعد ...

السلطان (يهب واقفا وقد وضع كفيه على رأسه ويصرخ) : آه .. رأسي ياناس ... رأسي ياعالم ... ماذا أفعل مع هذا المجنون ... لكن أكمل ... أكمل ... يالكاع ... قاتلك الله .

(يعود إلى كرسي العرش)

فشـــران : بعد ذلك يامولاي ركبت أنا وأبي وجدي قاربا من بيتنا إلى شجرتنا .. شجرة جوز الهند التي تحمل أرضنا الخصبة ، ومعنا أكياس تضم آلافا من قطع قرون الخراف ، وصعدنا بها إلى أرضنا لغرسها ، وكان في الأرض عدد قليل من أبقارنا ترعى بعض بقايا الحشائش ، وبينما كنا نحاول غرس قطع قرون الخراف ، هبت عاصفة رهيبة كادت تمزقنا تمزيقا ، وليس في أرضنا مكان نحتمي به .. فأرضنا خلاء كما تعلم يامولاي .

الوزيـــر : آه .. هذه مشكلة ..

فشـــران : حقا مشكلة ... وأخذتنا الحيرة ... ولكنا فوجئنـــا بجدي يصرخ فينا .. « هيا ... بسرعة ... ادخلا فمي ... واختبئا في ضرسي المنخور ....

السلطان (ناهضا في هياج) نعم ؟؟ نعم يا أكذب خلق الله !! تختبىء أنت وأبوك في تجويف ضرس من ضروس جدك .. في فمه ؟ ... هل هذا معقول ... ؟

(يعود إلى الجلوس مرة أخرى) .

فشـــران : هذا ما حدث بالضبط يا مولاي .... قفز أبي أولا ... وشد معه إلى تجويف الضرس بقرة سمينة ... وقفزتُ أنا بعده .

الوزيـــر : كل هذا داخل فم جدك ...هه ... في تجويف ضرْسه ... هيه ؟

فشـــران : نعم ياسيدي الوزير ، هذا ما حدث بالضبط .

الوزيــــر : والعاصفة ؟

فشــــران : كنا نسمعها تعوى خارج الضرس في شدة وجنون .

السلطـان : وجدك ؟ ؟ كيف تتركونه معرّضا للعاصفة ؟

الوزيــــر (واقفا ويعلو صوته) هذه أنانية ، هذا عقوق ، هذا جحود (يعاود الجلوس)

فشــــران : لم نتركه ياسيدي ... بل قفز معنا ... نعم ... اختبأ معنا .

السلطـان : إلى أين قفز ؟ ... نعم أين اختبأ ؟

فشــــران : في تجويف ضرسه أيضا يا مولاي ؟ هل معقول ـ يامولاي ـ أن نختبىء نحن في ضرسه ، ونتركه في الخارج .. وهو أولى منا بضرسه ؟

الوزيــــر : يعنى جدك دخل تجويف ضرسه معكم ؟

فشــــران (باستغراب) : نعم ياسيدي ... ما الغرابة في هذا ؟ أنه ضرسه ... ملكه ... وهو أولى منا به ...

السلطـان : قل لي يافشران : والضرس بعد أن دخل جدك فيه ، وأصبحتم أنتم الثلاثة بداخله ...

الوزيــــر : ومعكم البقرة ..

السلطـان : هذا الضرس .. ضرس جدك .. بعد أن استقر فيه جدك وأنت وأبوك والبقرة ... هذا الضرس .. أين استقر ؟

فشــــران : في فم جدي يا مولاي ...

السلطـان : وجدك .. هل دخل ضرسه .. ومعه فمه ... أم ترك فمه في الخارج ؟

فشــــران : طبعا ومعه فمه يا مولاي . هل معقول أن يترك فمه معرضا للعاصفة ؟

الوزيــــر (هامسا للسلطان) : قطعا ... فشران أصبح قريبا من السقوط يامولاي ... ضيق عليه الخناق يامولاي ...

السلطان (في هدوء مع الضغط على مخارج الحروف) :

يافشران .. كن معي خطوة ... خطوة .. فرأسي يكاد ينفجر ... أنت وأبوك داخل تجويف ضرس جدك . صح ؟ ؟

فشـــران : صح ... صح ـ يامولاي ـ .

السلطان : وجدك ... جدك كله بشحمه ... ولحمه ... وفمه قفز إلى ضرسه واختبأ معكم فيه . صح ؟

فشـــران : صح ... صح يامولاي ... هذا ما حدث بالضبط ترويه عظمتكم كأنك كنت معنا .

السلطان : جميل ... جميل ..الضرس إذن كنتم بداخله أنتم الثلاثة ومعكم البقرة .. أسأل الآن عن هذا الضرس المنخور . هل كان معلقا في الهواء ؟ أم كان يرتكز على شيء ؟ هـه ...

(يظهر البشر والسرور على وجـه الوزيـــر)

الوزيـــر : نعم أجب يافشران : هل كان الضرس معلقا في الهواء ؟ أم كان يرتكز على شيء ؟

(يميل على السلطان ويهمس في أذنه) :

ألم أقل لك يامولاي ... أنه سيسقط لا محالة ... أنا الوزيـر شرهـــان ـ يامولاي ـ أبو الخطط الجهنمية .

فشـــران : صبرا يامولاي ... صبرا ياسيدي الوزير .. كيف يكون الضرس معلقا في الهواء ؟ إن جدي عمل حسابا لكل شيء . فقد كان يخرج رجله اليمنى ليرتكز عليها ضرسه في مواجهة العاصفة ، فإذا تعبت رجله اليمنى استبدل بها رجله اليسرى ، للغرض ذاته حتى انتهت العاصفة بسلام .

(يشحب وجه الوزير والسلطان ينظر إليه في غضب)

السلطان : ... أكمل ... أكمل ... يافشران .

فشـــران : واستمرت العاصفة أربعين يوما ـ ياموﻻي ـ كنا خلالها نأكل من لحم البقرة التي كانت معنا .

الوزيـــر (وهو يقف هائجا) : انتظر ...انتظر ... يافشران ... هل أكلتم البقرة حية ؟ هـه !! هل أكلتموها حية ؟ قل ياهذا ...إن البقرة تحتاج إلى ذبح وسلخ ، واللحم يحتاج إلى سكين لتقطيعه ، وإلى نار لإنضاجه . فكيف تم ذلك داخل الضرس ... وأنتم لاسكين ، ولا نار معكم ؟؟ أجب ياكذاب ... أجب .

فشـــران (في هدوء واتزان) : الحقيقة أنها كانت مشكلة ، ولكننا تحايلنا ، وتغلبنا عليها ، فطلبنا من أبي أن يتخذ قرارا قاطعا ... فاتخذ قرارا بأن يزوجني بعد خروجنا من الضرس ببنت خالة جدته السابعة ، ولأنه « قرار قاطع » أخذناه وذبحنا به البقرة .

السلطان (صارخا) : ذبحتم البقرة بالقرار القاطع ؟

فشـــران : نعم ياموﻻي .. فقد كان قاطعا .. ماضيا .. أمضى من أي سكين ... وأي سيف .

الوزيـــر (ساخرا) : وطبعا سلختم بهذا القرار الـ ..قاطع سلختم به البقرة ... وقطعتم لحمها ....

فشـــران (في استغراب) : ما شاء الله ياسيدي ... ماشاء الله ....كأنك كنت معنا ياسيدي الوزير .

السلطان : لكن هل أكلتم اللحم نيئا ... أم أنضجتموه بالقرار القاطع أيضا ؟

فشـــران : الحقيقة ياموﻻي ... أننا أكلنا اللحم شواء ناضجا ... وكانت هذه أسهل من الأولى ... أما كيف فإليكما ياموﻻي ماحدث ... قلت لأبي الذي هو أخي أنت شاعر مفلق ، فأنشد شعرا في جدي تثير به شوقه ، فأخذ ينشد شعرا يذكّر فيه جدي بمرابع صباه ، وذكريات شبابه مع جدتي ...حتى فاض

قلب جدي بالحب ، واشتعلت نار أشواقه ، وكانت فرحتنا ... أخذنا ننفخ فيها حتى قوى لهيبها ... وعليها أنضجنا لحم البقرة ..

السلطان (في غيظ مكتوم) : أنضجتم لحم البقرة ... على نار الشوق ....

فشـــران : نعم يامولاي ... ودب الدفء في أجسادنا ، من حرارة هذه النار .

الوزيـــر (في لهجة متهكمة) : نار الشوق ؟ !

فشـــران : نعم ياسيدي ... إن نار الشوق أشد بكثير جدا من نار الحطب . (وفي صوت أهدأ كأنما يتحدث إلى نفسه) : ياسلاااام ...لم أذق في حياتي ألذ من ذلك اللحم الذي شويناه على نار الشوق الذي بعثه أبي بشعره في نفس جدي .

السلطان (ينظر إلى الوزير في ضيق وغضب ، والوزير يزداد وجهه شحوبا . ثم ينظر إلى فشران) : ما علينا ... أكمل ... أكمل يافشران .. أكمل ..

فشـــران : وبعد أن طال بنا المقام في تجويف ضرس جدي ، نهضت ، وألقيت نظرة إلى خارج الضرس ، فاكتشفت أن العاصفة قد انتهت ، وأن الشمس قد أشرقت ، ولكن كان هناك كارثة أخرى تنتظرنا .

السلطان والوزير (في نفس واحد) كارثة ... كارثة ؟

فشـــران : نعم ... ولكن الله سلّم : لما رأينا الجو صحوا ، والشمس مشرقة ، بدأنا ـ أنا وأبي وجدي ـ نخرج ببطء من تجويف ضرس جدي ، لنزاول عملنا في أرضنا بغرس قطع قرون الخرفان . ولكننا صدمنا إذ اكتشفنا أن سيول المطر الذي هطل مع العاصفة قد جرف الأربعين فدانا ... فزالت تماما .

السلطان : آه ... وأصبحتم معلقين في الهواء .

فشـــران : ولكن الله سلّم : فأبي بذكائه أخذ شعرة من شارب جدي ، وأخذ يفركها بين كفيه بقوة ، وكلما ضغط عليها زاد طولها ، إلى أن بلغت في طولها ميلا ، ثم ثبت طرفها في أحد أضراس جدي .

الوزيـــر : في الضرس المنخور أيضا ؟

فشـــران : لا ياسيدي الوزير ، وإلا لانهار بنا ، ولكن في ضرس قوي جديد . ودلّى أبي الشعرة ، وانزلقنا عليها واحدا ... واحدا ... أنا ثم أبي ... ثم جدي .

السلطـان (صارخا وهو يضع كفيه على رأسه) : يا لطيف اللطف ... يارب ...

فشـــران (صائحا) : يا لطيف اللطف يارب ... هذه هي العبارة التي كنا نرددها ، ونحن نهبط فوق شعرة شارب جدي . كأنك كنت معنا يامولاي .

والحمد لله نجانا الله ... لأحظى بلقاء السلطان العظيم .

(السلطان يبدو عليه الغضب والضيق الشديدان وينظرإلى وزيره الذي ازداد وجهه اكفهرارا)

السلطـان (موجها كلامه للوزير وهو يضغط على أضراسه) :

هيه ... قل ياوزيري شرهان .. هل عندك شيء تقوله ؟ هـه ... هل عندك جديد من فيض عبقريتك الفذة ... وتخطيطاتك البارعة ؟

الوزيـــر (في اضطراب شديد) : يا مو و و لا ..لاي ..ي أصل الْ .. الْ .. الْ ...

السلطـان (هائجا) : أصل ماذا ؟ تكلم .

الوزيـــر (موجها كلامه إلى فشران) : سؤال أخير يافشران : هذه القصة التي قصصتها علينا الليلة .. هل هي حقيقية صادقة ، أم خيالية كاذبة ؟

فشـــران (وهويضغط على حروف كلماته) : ياسيدي القصة حقيقية ، واقعية ، صادقة .. من بدايتها إلى نهايتها ، وكل حادثة فيها وقعت حقيقية على مسرح الحياة .

(يهب الوزير صائحـا في لهجـــة المنتصــــر)

هايل ... خسرت المباراة يافشران ... يامولاي لقد سقط فشران ... يضرب عنقه ، وتصادر أمواله . لقد قال إن قصته حقيقية صادقة ، لاخيال فيها . وأهم شرط في المسابقة أن تكون القصة ـ من أولها إلى آخرها ـ خيالا في خيال ... كذبا في كذب .

السلطان (في صوت مبتهج) : هذا صحيح ... غاب عني ذلك ... يا سياف ...ياسياف ... أضرب عنق ...

فشـــران (في طمانينة وثبات) : على رسلك يامولاي ، على رسلك .. يامولاي .. أنا التزمت تماما بالشرط المطلوب ... لأني لو قلت إن قصتي هذه كلها كذب وخيال لكنت بذلك صادقا ، ولاستوجب ذلك ضرب عنقي ومصادرة أموالي . لكنني حينما أجبت على الوزير بأن قصتي هذه واقعية صادقة مائة في المائة . فهذا القول مني يعد كذبة جديدة تضاف إلى ما في قصتي من خيالات وأكاذيب . فأنا إذن قد وفيت بالشرط المطلوب ياmolاي .

(الوزير يلقي بنفسه على مقعـــده في رعب وذهـــــول)

السلطان : نعم هذا صحيح ... فالجائزة لك .. وأموال صاحبَيك تضم إلى أموالك .. ولكن بقى حكم لابد منه (بصوت مائج) : ياسياف .. يضرب عنق وزيري ، وزيري الخائب .. دعى العبقرية والذكاء ، وتضم أمواله إلى أموال السلطنة لتفريج أزمتها ... وحل مشكلاتها ...

(يدخل السياف ومعه بعض الجنود ، ويسحبون الوزيـــــر وهو يصـــــرخ) :

ـ العفو ياmolاي .. العفو والسماح ياmolاي ....

السلطان (ناظرا لفشـــران) :

وأنت يافشران : عقل ذكي .. ونظر ألمعي ... وقريحة نفاذة .. وبيان رائع ... تستحق كل خير .. لذلك فأنت من الليلة وزيري الأول .

أما وزيري شرهان ففي فجر الغد يضرب عنقه وعنق القصاص نعمان وعنق القصاص كسبان ...

أما أنت يا وزيري فشران فتمنَّ عليَّ .. ماتطلبه مقضى .. دون تأخير...

فشـــران : مولاي السلطان ... أنت أهل الكرم والسماحة ، وليس لي إلا رجاء واحد ..

لا أريد به إلا وجه الله ...

السلطان : قلت لك تمن عليّ ... وطلبك مجاب ....

فشـــران : أن يتفضل مولاي السلطان بالعفو عن رفيقيّ ... وعن الوزير شرهان .. ويكتفي بمصادرة نصف أملاكهم ...

السلطان : لك هذا ... بشرط ألا يعود شرهان وزيرا ... وتكون أنت وزيري مدى الحياة ...

فشـــران : مدى الحياة ... مدى الحياة ... إن شاء الله يا مولاي ..

السلطان : يا حاجب ... يا سياف ... يطلق سراح شرهان ..ونعمان .. وكسبان .. ويكتفى بمصادرة نصف أملاكهم ... استجابة لطلب ـ وزيري فشران ..

(ستـــــار)